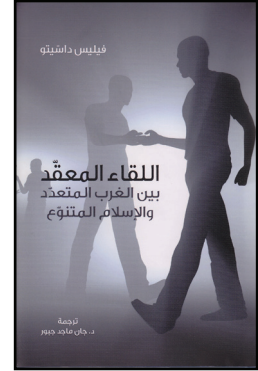


## اللقاء المُعقّد

### بين الغرب المُتعدد والإسلام المُتنوّع

إشارة أولى

(منشورات كلمة)



مؤلف هذا الكتاب اللقاء المُعقّد بين الغرب المُتعدد والإسلام المُتنوّع، (ترجمة: د. جان ماجد جبّور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط ١، أبو ظبي، ٢٠١٠)، هو الباحث فيليس داسيتو Felice Dassetto الأستاذ في

جامعة لوفان في بلجيكا، ومدير إدارة «مركز الدراسات حول الإسلام في العالم المُعاصر» الذي يهتم بتطوير برنامج بحثي مُقارن يدرس التحوّلات المحليّة للإسلام في زمن العولمة. إضافة إلى أنّ بحوث فيليس داسيتو تركز بشكل أساسي على الإسلام في أوروبا وبلدان إفريقيا الغربية. كما تهتمّ مؤلفاته بقضايا التواصل بين الإسلام والغرب، ومن أبرز هذه المؤلّفات: «الهجرة والفضاء العام: الجدال حول عملية الاندماج، ١٩٩٣»، و«بناء الإسلام الأوروبي: مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية، ١٩٩٦»، و«في الاتجاه الصحيح والمُعاكس: تطلّعات إلى المُجتمع المعاصر، ١٩٩٩»، و«هجرات ومجتمعات وسياسات: بلجيكا وأوروبا والتحديات الجديدة، ٢٠٠١».

أمّا المُترجم فهو الدكتور جان ماجد جبّور أستاذ اللغة الفرنسيّة وآدابها في الجامعة اللبنانيّة المُهمّ بتجليات الشرق والآخر في الفنون والخطابات الفرنسيّة. فرضيّة الكتاب

يسعى فيليس داسيتو في هذا الكتاب إلى تجريد قوانين معرفية وأدوات منهجية جديدة تعمل على معاودة مقارنة العلاقة المُلتبسة بين العالم الإسلاميّ والعالم الغربيّ؛ ذلك أنّ هناك شروطاً وعوامل حضارية أسهمت في إعادة تشكيل هذه العلاقة ونقلها إلى مرحلة جديدة تفرض على البحث الاجتماعي تجديد النظر في طبيعة اللقاء المُرتقب بين هذين العالمين. علاوة على أنّ النزعة التجريبية التي وسمت العلوم والحقول والمناهج لم تعد تركز إلى المُقاربات والدراسات التي تُعلي من شأن السياق والأيدولوجيا، وهي مقاربات ودراسات شكّلت أفضاً قاتماً ظلّ يسيطر على قراءة العلاقة بين الإسلام والغرب.

إنّ محاولة داسيتو في فحص العلاقة بين العالمين الإسلاميّ والغربيّ تندرج في إطار تحرير الموضوع من سطوة التشاؤم والعدم التي تذهب تجاه استحالة إقامة علاقة متوازنة بين عالمين تصارعاً دينيّاً، وأدى صراعهما إلى إقامة حدود داميّة لا يُمكن تجاوزها. وفي هذا السياق يدعو داسيتو إلى تجاوز هذه المُقاربات التي تُحبط الوعي الإنسانيّ، وتصادر العبقرية الإنسانيّة الخلاقة.

لقد أفضت الدراسات الحضارية التقليدية إلى أنّ العلاقة بين العالمين الإسلاميّ والغربيّ تحكمها

المسيحيّة بمواجهتها المسلمين العرب والأتراك، وهي أطروحة دفعت العالم الإسلاميّ إلى صوغ هويته من خلال التعارض مع الغرب.

غير أنّ الوقائع القائمة المعاصرة تنفي هذا التمايز وتتجاوزه إلى الإقرار بأشكال التداخل والتعايش والتواصل من جهة والاعتراف بالتمايز النسبيّ الهامشيّ؛ فإذا كانت السلطة الاستعمارية الغربيّة قد مارست سيادتها على الأرض بقوة الاحتلال الذي مكّنها من فرض مؤسساتها إلّا أنها بقيت خارج النسيج المحليّ الإسلاميّ حيث قُوبلت بالعزلة وجوبت بالعداء، وفي المقابل فإنّ المهاجرين المسلمين الذين ينتشرون في العالم الغربيّ يسعون إلى كسب الهوية الغربيّة واغتنام مردوديتها الأمر الذي يعني أنّ لأوروبا وجهًا إسلاميًا.

وهكذا، فإنّ افتتان العالمين الإسلاميّ والغربيّ ببعضهما لا يزال مُحركًا أساسيًا في فرص اللقاء بينهما على الرغم من تبدّل أدولته وتغيّر أهدافه؛ ففي العصر الوسيط قام الرّحالة المسلمون باكتشاف العالم الغربيّ ورصد معالمه في الوقت الذي مضى فيه المستشرقون والرّحالة الغربيّون بزيارة العالم الإسلاميّ ومعرفة أسرارهِ وتعيين علاماته. وفي الوقت الحاضر ينظر الغربيّون إلى العالم الإسلاميّ بوصفه عالمًا مُفعّمًا بالجابيّة التي شكّلتها الصّورة الاستشراقية إضافة إلى المصالح النفطية والسياسية مُتجاوزين بها الإرهاب والفساد والتخلف في العالم الإسلاميّ. أمّا المسلمون فيرون في اقتصاد الغرب وثقافته وديمقراطيته ومجتمعه المدني ملاذًا آمنًا يجعلهم يتعاملون عن إرادة الهيمنة

المواجهة الموروثة من الماضي الحافل بالحروب الدينيّة والمشاريع الاستعماريّة، وهذه نتيجة مؤلّمة كفيلة بعرقلة فرص التواصل الحضاريّ؛ ذلك أنها تصدر عن رؤية تفترض أنّ اللقاء بين العالمين لقاءً بين ثقافات وحضارات في حين أنّ الواقع الكونيّ الجديد الذي انتقل من إرادة الهيمنة إلى إرادة العولمة يراهن على «ابتداع طريقة جديدة لبناء علاقات بين عوالم تتلاقى».

إنّ التخلّص من مبدأ المواجهات بين العالمين الإسلاميّ والغربيّ سيسهم حتمًا في إيجاد بديل معرفيّ يقارب العلاقة المُلتبسة بينهما لا سيّما أنّ مبدأ المواجهات يقضي على فرص اللقاء من جهة ويُسرّع من وتيرة الصدام والصراع من جهة أخرى. ليس هذا حسب بل إنّ مبدأ المواجهات محكومٌ بروابط وتأثيرات مُتبادلة يتحمّل مسؤوليتها العالمان الإسلاميّ والغربيّ بدرجة متساوية إضافة إلى أنّ هذا المبدأ يسم تاريخ الحضارات كلّها؛ فالهوّ لم تقع بين الإسلام والغرب بل شملت العالمين المسيحيين اللاتينيّ والأرثوذكسيّ، وظهرت بين الإسلام والبوذية، ووقعت بين العالمين الصينيّ والهنديّ، وحدثت بين الهندوس والمسلمين.

ومن ثمّ فإنّ التمسك بمبدأ المواجهات سيحول دون استئناف فرص التعايش بين العالمين الإسلاميّ والغربيّ، ويُحطّم إمكانية التعايش فضلًا عن أنه سيمنح أطروحة صموئيل هنتنغتون انتعاشًا غيرَ جذيرة به. وفي هذا المستوى يدعو داسيتو إلى تجاوز أطروحة بيران Pirenne التي تقوم على تمايز هويتين حضاريتين ودينتين مُتصارعتين أفضت إلى أنّ تُعرّف أوروبا

الغريبة ويصرفهم عن نزعات الإقصاء والتمركز التي أنتجتها القيم الفلسفية الغربية.

أما الإحالات التي تتضمنها دلالة الغرب المتعدد فتتمثل في تلك الدينامية الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تنطبق على الولايات المتحدة وأوروبا وكندا وعلى البلدان التي تقولب مصطلح «الغرب» على طريقتها مثل اليابان وغيرها. وأما الإحالات التي تتضمنها دلالة الشرق المتنوع فتبدو محفوفة بالغموض؛ فعلى الرغم من عدم وضوح دلالة الإسلام المتنوع وشيوعها إلا أن هذا الاستعمال يثير ردود أفعال كبيرة. إن الإسلام يستند إلى معتقد واحد تأسيسي مصدره وحي أنزل على النبي محمد، في حين أن استعمال وصف التنوع قد يتضمن إشارة إلى نفي المصدر الذي يصدر عنه الإسلام. وبعبارة أخرى فإن التنوع لا ينفي المصدر الذي شكّل نواة الإسلام الأساسية «لكنه يشير إلى أنه في المسار

التاريخي للإسلام لا نلاحظ طرائق عديدة لعيش الإسلام فحسب، وإنما كذلك طرائق متعددة لفهمه وتفسيره». كما أن تنوع الإسلام لا يتأتى من تنوع المسلمين وتنوع مرجعياتهم فحسب وإنما يتضح ذلك في أن العقيدة الإسلامية غنية في أبعادها. وبالجمل، فإن الرهانات الكبرى للإسلام تتمثل في «المحافظة على وحدة الإيمان بالرغم من التباينات في فهم بعض النصوص، في غياب مرجعية واحدة ضابطة».

إن اللقاء المرتقب بين العالمين الإسلامي والغربي الذي يقوم داسيتو برصد تجلياته لقاء قد يحدث كثيراً من النتائج التي سينجم عنها تحالف جديد بينهما لا سيما أن هذين العالمين متحولان بطريقة لا يمكن التنبؤ بمسارهما وقدرتهما على استئناف إرث الماضي ورعب الحاضر إلى بشائر المستقبل.

قراءة هيثم سرحان